

سوسيولوجيا القيم في الأسرة المغربية: "العرض والشرف نموذجاً"

أ. محمد كركوب
القنيطرة المغرب

تمهيد:

يسعى هذا المقال لدراسة قيمتي العرض والشرف داخل الأسرة المغربية، والوقوف على التمثلات التي تنتج تجاه هاتين القيمتين، من باب استحضار لقضايا القيم التي تلامس هذه التمثلات من زاوية سوسيولوجية وأثنولوجية، بالتركيز على النتائج التي أسفرت عنها الدراسات في هذا المجال.

تبرز القيم الاجتماعية والدينية والاقتصادية، وغيرها، داخل المجتمع المغربي عبر تجسيدها في مؤسسات عديدة من قبيل الأسرة، والمدرسة، والإعلام، وفي وحدات اجتماعية كبرى مثل القبيلة، ولعل قضيتي العرض والشرف قد أخذت حيزاً هاماً من لدن الباحثين والمفكرين في شمال إفريقيا، وهو ما ستحاول دراستنا هذه تناوله في علاقتها بمؤسسة الأسرة والقبيلة.

تحدد إشكالية العرض والشرف في الجدلية القائمة بين المؤسسات الاجتماعية، حول الرؤية الفردية والجماعية، تجاه هاتين القيمتين، وسيكون بداية عرض هذه المتغيرات بالتعريفات المختلفة التي قاربت مفاهيم القيم، والعرض، والشرف، ومؤسسة الأسرة. مروراً بالأبعاد الرمزية لقيمتي العرض والشرف في الوسط الاجتماعي، ثم تمثلات الأسرة المغربية لمسألة العرض والشرف، نهاية بتجلياتهما في وحدة القبيلة.

1. قراءة في المفاهيم:

تقتضي مقارنة مسألة العرض والشرف في تمثلات الأسرة المغربية وفق أبعاد سوسيوأثنولوجية، كشف الغموض عن المفاهيم الواردة في العنوان¹، بغية استثمارها استثماراً فعالاً في ثنايا التحليل.

1.1. مفهوم القيم:

شغل تعريف القيم بالعدد من اللغويين والمنظرين والباحثين "فالقيم من القيام: نقيض الجلوس"². و(القيمة) قيمة الشيء³. ويرى محمد عاطف غيت أنها "تصور واضح أو مضمّر يميز الفرد أو الجماعة، ويحدد ما هو مرغوب فيه، بحيث يسمح لنا الاختيار من بين أساليب متغيرة من السلوك والوسائل والأهداف الخاصة بالفعل"⁴.

والقيمة كما يعرفها الأثنولوجي بارسونز في كتابه: "النسق الاجتماعي The social system" هي: "عنصر لنسق رمزي مشترك يعتبر معياراً أو مستوى الاختيار بين بدائل التوجيه التي توجد في المواقف"⁵.

ومن هذا المنطلق، يجد الباحث في ميدان القيم من الناحية السوسيولوجية والأثنولوجية، اهتماماً كبيراً بالتركيز على الأفراد والجماعات، بغاية معرفة الفوارق والمستويات النفسية والاجتماعية التي يتسم بها كل منهم، لكونها تحدد لنا اتجاه الإنسان نحو السلوك والفعل والتصور الذي ينشأ نتيجة ما تقدمه من نتائج تسهم في البناء الاجتماعي، لكونها أيضاً تجسد ذلك النسق الكلي المشترك بين الأفراد والمختلف عنه في المواقف الاجتماعية المختلفة.

2.1. مفهوم العرض:

يتناول الدارسون في اللغة والعلوم الاجتماعية والإنسانية كلمة عرض للدلالة على الحسب والنسب، وهي بهذا المعنى: "عرض الرجل حسبه وقيل نفسه وقيل خليقته المحموده، وقيل ما يمدح به ويذم فيه"⁶. إلا هناك اختلاف بين الاثنين في بعض الجوانب التي تجسدها الثقافة والمجتمع من حيث الدلالة على جوهر كلمة العرض كما حددتها البحوث السوسيوأثنولوجية.

ويشير رايون جاموس Raymond Jamous في دراسته للبنى الاجتماعية والثقافية التقليدية بمنطقة الريف المغربي "للإقليميين"، أن مصطلح Honneur يدل على معنى العرض في المجتمع المحلي، وقد حدده بمعنى أنه "مجموعة من العلاقات بين جماعة أو أفراد، والذي يمثل (أي العرض) مصدر كل الهوية"⁷.

يصعب تحديد مفهوم العرض ما لم يتم ربطه بقيمة الشرف، والحياء، والاحترام، والوقار وغيرها، من الأوصاف الشبيهة، كما لا يمكن فهمه إلا في علاقته بالرجل والجسد الأنثوي، وبهذا نرى أن العرض والشرف في التخييل الاجتماعي يبقى لصيقا بشكل كبير بالجسد الأنثوي. وفي هذا السياق تقول خلود السباعي: "يتضمن مفهوم الشرف أيديولوجية جنسية تجعله مرتبطا بالمرأة، التي يمكنها، من خلال جسدها، أن تدنس عرض رجال العائلة وتمرغه في الأرض، باعتبار أن النساء هن «الأشياء» التي يتحقق من خلالها شرف الرجال"⁸.

وهكذا، يرتبط العرض بسياق العلاقات الفردية والجماعية التي تؤمن مسألة الهوية في هذين البعدين، فضلا على أنه يتصل بقيم أخرى، تكون رهينة النظرة المجتمعية للجسد الأنثوي باعتباره يشكل منطلق البحث في هذا المعيار لكونه يبرر منزلة الرجل في مجتمعه.

3.1. مفهوم الشرف:

تعددت تعريفاته في الدراسات المعجمية والاجتماعية والقانونية والدينية، حيث أنتجت وجهات نظر مختلفة ميزت بين هذه الأبعاد في الرؤية والتفسير، ولغة الشرف: "الحسب بالآباء"⁹. وهو: (مص) "العلو والمجد // علو الحسب // الشريف. يقال: هو شرف قومه وكرمهم" أي شريفهم وكرمهم"¹⁰.

وصفة أو اسم شريف Honnête: "استعمل كثيرا في لغة القرن السابع عشر الفلسفية لترجمة اللفظ اللاتيني Honestum، ما هو حسن أخلاقيا، أو مشرفا (من وجهة الأخلاق الفلسفية أو الطبيعية، بقدر ما يمكن تمييزه من الفكرة المسيحية حول الواجب الذي يأمر به الله أو الكنيسة). هذا الهوى (الغيرة) يمكنه في بعض الظروف أن يكون صحيحا وشريفا"¹¹.

ويذهب إميل دوركايم Emile Durkheim إلى "أن لكل مجتمع من المجتمعات البشرية نظاما أخلاقيا يمثل حقيقة اجتماعية، وقد لعب هذا النظام الأخلاقي دورا في نظام تقسيم العمل، كما أن القاعدة الأخلاقية لا تنشق عن الفرد ولكن المجتمع هو لسان القيم ومصدر القيم العليا، وأنها (أي القيم) نتاج اجتماعي لعوامل اجتماعية، ويعتمد النظام الأخلاقي على البناء الاجتماعي للمجتمع الذي يوجد في إطاره، وليس هناك نظام أخلاقي واحد لكل المجتمعات...، بينما يراها ماكس فيبر Max Weber بمثابة الموجهات التي تفرض نمط أو شكل السلوك..."¹². وبهذا المعنى يدل الشرف على أنه مجموعة من الصفات الأدبية مثل الأمانة والإخلاص...، التي تحدد مدى تقدير الفرد في البيئة التي يعيش فيها.

تتداخل قيمة الشرف كقيمة اجتماعية مع بعض المعايير الاجتماعية الأخرى، من قبيل الحياء والنجس والعيب والفضيلة والعفة، وهو ما يظهر في سلوكيات تؤدي إلى الامتثال أو الانحراف عنها، في سياقات معينة تظهر بشكل واضح في طريقة جلوس الفتاة، أو أسلوب المشي، أو شكل الوقوف وطرق الكلام في التعبيرات الجسدية، عن طريق استخدام الأيدي في الحوارات الاجتماعية، تدل على شكل من أشكال التواصل الجسدي، خاصة في العلاقات التي تسم بين الذكور والإناث، التي تكون حكما على آداب أو عدم آداب الفتاة مع الذكر، الابن مع الأب والأستاذ وغيره.

يتضح على أن الشرف يتعلق بما هو أخلاقي، واجتماعي، وثقافي، فهو الذي يجسد المكانة التي يحظى بها صاحبها في محيطه، التي تستمد من حصيلة ما تجمع لديه من الصفات الموروثة والمكتسبة ومن علاقاته بغيره من أبناء المجتمع، ويحظى على أساسها بمركز اجتماعي معين تتحدد عناصره حسب المجتمعات التي يرتادها سواء كانت جغرافية أو وظيفية أو غيرها.

4.1. مفهوم الأسرة:

تنوعت رؤى ونظريات المعجميين والباحثين في الظاهرة الإنسانية والاجتماعية في تعريفاتهم للأسرة، فهي¹³: (الإسار)، ما يقيد به الأسير (ج) أسر. (الأسر)، شدة الخلق. يقال شد الله أسرته: أحكم خلقه، و(الأسرة): الدرع الحصينة. ويعرفها "ميردوك Murdoch" أنها: "وحدة اجتماعية تتميز بمكان إقامة مشترك وتعاون اقتصادي، ووظيفة تكاثرية ويوجد اثنين من أعضائها على علاقة جنسية يعترف بها المجتمع، وتتكون الأسرة على الأقل من ذكر وأنثى بالغين وأطفال من نسلهما أو عن طريق التبني"¹⁴.

وفي نفس الاتجاه يعرفها فهد الناصر بمثابة "تنظيم اجتماعي أساسي في المجتمع يتكون من رجل وامرأة أو أكثر، بينهم علاقة جنسية يقرها المجتمع، ينتج عنها إنجاب أطفال يشتركون معا ويقيمون في مسكن واحد، وتوجد بينهم علاقات اجتماعية واقتصادية، وعليهم حقوق وواجبات تستمد من قيم المجتمع وتقاليد"¹⁵. وفي تحديد مخالف عند "إميل دوركايم E. Durkheim" نجد أن "الأسرة ليست ذلك التجمع الطبيعي للأبوين، -وما ينجم عنه من أولاد- على ما يسود الاعتقاد، بل إنها مؤسسة اجتماعية تكونت لأسباب اجتماعية، ويرتبط أعضاؤها حقوقيا وحلقيا ببعضهم البعض"¹⁶.

يتفق كل من ميردوك وفهد الناصر على أن الأسرة تعبر عن وحدة اجتماعية، يكون طرفاها هما الرجل والمرأة وأبنائهم، بناء على موافقة جنسية يقرها المجتمع، وتجمع بينهم حقوق وواجبات مؤسسة على قاعدة سوسيولوجية، بينما يرى إميل دوركايم على أنها مؤسسة اجتماعية أقيمت لأغراض أخلاقية، تربوية، اقتصادية وثقافية. ولهذا يتضح أن الأسرة هي تنظيم اجتماعي يسعى فيها الأبوين إلى تلقين القيم والمعتقدات الاجتماعية، كما أنها تمثل بنية ونواة الأفراد والجماعة، وتحدد أدوار وظائف هاتين الفئتين، وبالتالي فهي تسهم في تقوية وتوثيق العلاقات. 2. الأبعاد الرمزية لقيمتي العرض والشرف في الوسط الاجتماعي:

تمثل القيم جزء من التربية التي تسهر عليها مجموعة من المؤسسات الاجتماعية عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية، ففي كل فترات الحياة يخضع الأفراد لجملة من القواعد والآداب التي تسهم في بناء شخصيتهم على مواجهة الحياة، لذلك نجد العديد من التمثيلات والتصورات التي ينسجها المجتمع في تحديد معالم الحركات الفردية على اختلاف الجنسين، ويحيطها برموز مختلفة تكون محالا لفك شفراتها أثناء تمحيصها بالدراسة السوسيولوجية.

يشغل الجسد الأنثوي هم وقلق المجتمع الذي يتحرك فيه، لكونه هو الحامل للقيم الذاتية والموضوعية، ويكون منشأ اجتماعيا، يتمحور في سيرورات فعل تخضع لمتطلبات الجماعة التي ينتمي إليها انطلاقا من معتقدات بأبعاد دينية، اجتماعية، عرفية، وثقافية يكون فيها دور الأسرة والمجتمع أكثر فعالية لنسج مجموعة من آداب الحركة في الزمان والمكان حيث يمارس هذا الجسد حياته اليومية.

ويخضع الوسط الاجتماعي في المجتمع المغربي، لانتقاء يحدد للفرد الذكر والأنثى طريقة اللباس وأماكن الزيارة، وأساليبها، بالإضافة إلى ذلك فمكان الإقامة "الدار الخيمة، الكانون..." يخضع بدوره إلى هندسة تليق بنظام القيم المجتمعية، ولعل المنزل في المجتمعات البدوية للذليل على تجسيد هذه الهندسة، من خلال لجوء الرجل إلى تأكيد دوره كرجل ذو مكانة مهابة وعالية، بل مكنته من بلوغ ما سماه بورديو "بالحيمنة أو السيطرة الذكورية La domination masculine"، "فبناء المنزل يعني بناء العائلة، لذا يجب أن تكون هذه الظروف -أي ظروف بناء الفضاء- مفهومة في إطار نظام القيم المجتمعية، هناك شرف يسائر قوانين هذا النظام الذي يعطي عمق الدلالة لمكانة الرجل والمرأة"¹⁷.

ومن هنا يمكننا أن نتحدث في سياق آخر عن أشكال اللباس وطبيعة السكن الذي يشكل البنية المورفولوجية داخل البيئة التي تحتضن هذه القضايا، ولعل اللباس في المجتمع المغربي على مر التاريخ كان من بين المؤشرات التي تحمل مجموعة من القيم على مستوى الجسد الإنساني، بحيث كان ولا زال اللباس في مختلف المناطق الجغرافية (خاصة في المجتمع القروي) يجسد الانتماء للمكان، كما يتضمن التراتبية الاجتماعية وقيمة الفرد والجماعة، وهو الذي يعكس جانبا من جوانب الشرف والمكانة الاجتماعية كما تحدده طبيعة التمثيلات المجتمعية، فضلا على أنه يجسد طبيعة الانتماء العرقي والديني، بل الأكثر من ذلك فهو يحمل رسالة أمة، كونه يعد "مقوم من مقومات شخصية الأمة، فهو يميزها عن غيرها من الأمم ليطبعها بطابع خاص تنعكس عليه جميع ملامحها وخصائصها الاجتماعية والأخلاقية والعقائدية الحضارية بصفة عامة"¹⁸.

ظل الشرف في تاريخ المجتمعات، وخاصة العربية والإسلامية، يمكننا من رسم صورة واضحة عن تشبث الإنسان بالقيم الدينية والاجتماعية، وهو الأمر وضع تحركات الإنسان مع هذه القيم طيلة سنوات خلّت، فقد كان الشعراء قديما يتحدثون عن شرف القبيلة، وشرف الانتماء إلى الأرض، والانتساب إلى السلالة النبوية، وشرف المرأة، وعن تنظيم الأسرة، حيث إن "الإنسان العربي اهتم بشرف وعرض بناته وزوجاته وأخواته، وأعطى أهمية قصوى لإخلاص زوجته قبل الزواج وبعده، وكان هذا سببا في فرض نوع معين من التربية وخاصة تجاه الفتاة، فحينما تولد تترى على الحذر والخوف على أعضائها التناسلية، وفي الدرجة الأولى على عذريتها، وذلك راجع إلى الأعراف والتقاليد التي تقرر على أن سلامة بكاره الفتاة هي بطبيعة الحال دليل على نقائها وشرفها"¹⁹. وكذلك على الرؤية المستقبلية لشرف وعرض أسرة الفتاة كي لا تقع ضحية العبء الاجتماعي من جهة، وضياح فرصة الاحتفاء بالجسد الطاهر في قضية الزواج المفترض مسبقا من جهة ثانية، على اعتبار أنه يمثل رهان أسرة بكاملها قبل أن يكون من بين تطلعات الفتيات مستقبلا.

يوضح رجال بوبريك بعض الممارسات العرفية السوسيوثقافية، والسوسيوثقافية حول ثقافة الصحراء في التعامل مع رمزية الخيمة الصحراوية في علاقتها بالمرأة والحفاظ على العرض والشرف، وقد ذكر في ذلك أنه، "إذا كانت جريمة القتل تمثل أقصى تجليات العرض الجماعي، فإن المرأة والخيمة باعتبارهما محالا حميما كانت من عداد العرض التي شدد العرف على المعاقبة عليها، فالمرأة التي حملت خارج علاقة شرعية تطبق عليها شبه أحكام القتال، أي الطرد «وكل امرأة ظهر فيها حمل ولم يكن لها زوج، فإن أهلها يعطون مائة ريال وتحرق خيمتها وتخرج من وسط القبيلة لا تسكن فيها» (آيت اوسى)²⁰، وهذا ما يوضح كون الشرف والعرض الفردي هو في الأصل يذوب في الجماعي، فالخيمة في هذا الاتجاه هي دلالة اجتماعية دينية وثقافية مقدسة.

ويضيف قائلا: "إن عرض الخيمة مقدس «ومن دخل بيت أحد أو خيمة أو دار أو زاوية على وجه الخديعة فعليه خمسون ريالا، خمسة وعشرين لرب البيت وخمسة وعشرون لآيت اربعين. من افتتن في وسط خيمة فعليه اثنا عشر ريالا، ومن هاجم خيمة ودخلها يريد السفه، فعليه مائة ريال، نصف لرب الخيمة ونصف للجماعة» (آيت اوسى)²¹. وكذلك الأمر عند (يگوت)، "وقد عرفت في التقاليد العرفية بالصحراء عقوبة خاصة بالمس بجريمة الخيمة يسمى «بإنصاف الخيمة»"²².

ونرى في هذا الصدد، أنه لكي يعبر الرجل العربي عامة، والمغربي خاصة، عن فحولته ورجولته، وعن اشتغال البعد الديني والاجتماعي في مخيلته، لجأ إلى تقسيم الفضاء الجغرافي والوسط الاجتماعي، وجعل لنفسه مكانة اجتماعية من خلال الشكل الهندسي الذي تتخذه الدور كعلامة من علامات ذات أبعاد سيميائية وأنثروبولوجية تعبر عن حرصه على شرفه وأسرته، "وقد كان لهذا التقسيم ولتصورات المجتمع وتمثلاته من المرأة وجسدها تأثيرا على طريقة تصميم البيت العربي الإسلامي، الذي يكاد يكون كله من أجل حجب جسد المرأة، وتأمينه وحصره داخل الفضاء. فضاء مغلق: أسوار عالية، أبواب مغلقة،

سقايف متعددة وذلك للمباعدة بين العالم الخارجي والعالم الداخلي²³. وبالتالي بعده عن الأنظار التي تصنفه كجسد عضوي، ينتمي إلى العالم البيولوجي من ناحية أولى، وكجسد يحمل دلالات سوسيوثقافية ودينية، من شأنها أن تعلي أو تخط من قيمته داخل محيطه الاجتماعي من ناحية ثانية.

3. تمثلات الأسرة المغربية لمسألة العرض والشرف

تعرف الأسرة المغربية بصفة شمولية، نوعا من التنظيم المحكم للقيم الاجتماعية تحت مسوغات مجالية، تاريخية، اجتماعية، سياسية، اقتصادية ودينية، ويظهر ذلك ضمن مجموعة من الممارسات التي توظف الفعل الاجتماعي داخل المنظومة المجتمعية، فأصبحت هذه القيم في النظام النفسي والاجتماعي للشخصية بمثابة تلك الخبرات المتراكمة في حياته، كما تنقل الفرد إلى أن تصبح لديه مكونات سيكوسوسيولوجية وسوسيوثقافية تحدد أنواع السلوكات الاجتماعية، ورسم صورة عن الاتجاهات الشخصية نحو الذات والمجتمع، ونحو العقيدة والأحكام الأخلاقية، والتقييمات الآنية والمستقبلية الذاتية والمتعلقة بالآخرين، ونحو المحيط بكل أصنافه وتظاهراته، وحينما نتحدث عن القيم التي تحكم العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع المغربي التقليدي، من المؤكد استحضار طبيعة التركيبة الاجتماعية التي تشكل نسقا من أنساق التنظيم المجتمعي برمته، وبالتالي فهم جزء من أجزاء هذه القيم الاجتماعية.

إن الأسرة التي تكون لها قابلية الانخراط والاندماج داخل الجماعة كي تحافظ على خلق الجو الحميمي مع معظم مكونات المجتمع المحلي الذي تنصهر فيه، وتكون لها القدرة على توفير النسب الذي يمكنها من أن تكون قادرة على ذلك، ينبغي عليها تجسيد القيم الاجتماعية بقوة وعلى رأسها قيمة الشرف، ولما كان هذا الأخير لصيقا بالمرأة، فإن التشديد على عفتها علته الحفاظ على اندماج الأسرة في المجتمع²⁴. لأنها تمثل في تواجدها داخل المجتمع جزء من الهوية الثقافية التي لا يمكن أن تبقى في معزل عن ممارساتها التاريخية، الاجتماعية، والثقافية في المواقف التي تستحضرها الجماعة، "فنظام الأسرة يرتبط في أي مجتمع من المجتمعات بطبيعة القيم السائدة في ذلك المجتمع، نظرا لأن السلوك تتحكم فيه معايير تتطور نحو الأفضل، وقد تنحدر تحت تأثير غياب المؤثرات التربوية والأخلاقية، ويعتبر التخلف الناتج عن الجهل والأمية من أهم عوامل الانحدار في القيم مما يؤدي إلى سلوكيات سلبية في الأنظمة الأسرية"²⁵.

تشير الباحثة المغربية في قضايا الأسرة زينب معادي، "أن الجسد الأنثوي كما يستجيب أو يكون سلطة القيم الاجتماعية والثقافية والتصورات المتعلقة بوضع ومكانة المرأة في المجتمع، فهو كذلك قد يحاور، يقاوم ويتجه إلى تعديل تلك السلطة"²⁶. ويصعب الفصل بين القيم التي تنشدها الجماعة وحركة الجسد الأنثوية، فالعرض والشرف يمثلان هاجسا جماعيا يتم تأطيره في قالب اجتماعي، "بصور وتمثلات يتداخل فيها الأسطوري بالديني، والمتخيل بالواقع والرغبة بالنفور، فالممارسات اليومية تحاول أن تنظم آلية تدبير وتسيير الجسد الأنثوي، لأن هذا الأخير خصوصا والبشري عموما يعرف في التعامل اليومي مند التنشئة، وفي صميمها كما هو الحال في العلاقات العاطفية بين الطرفين من الرجال والنساء محملات بالأحكام المسبقة ومسقط للرغبات والميول الشخصية في علاقة يكاد يغيب فيه المنظور الموضوعي"²⁷.

إن المجتمع هو كل مركب يحوي ثقافة الفرد وتجربته الجسدية في كل تحركاتها، "إذ يلزمه بنظام جسدي معين، ويتجلى هذا التأثير الاجتماعي في مظاهر عديدة ومتنوعة معقدة ومنها الثياب، التي تكشف عن موقف المجتمع إزاء الجسد"²⁸.

ويظهر في هذا الجانب أن للباس آداب حددتها الشريعة الإسلامية قبل أن يحددها المجتمع، إذ نجد ما يبرر هذا الاتجاه، وهو ما ذكرته الباحثة خلود السباعي في دراستها السابقة الذكر «بوادلاو» أن "اتصاف الفتاة بالأخلاق يجب أن يتجسد في جسدها ومختلف حركاتها. فتتعلم كيف تلبس، وكيف تشد شعرها وحزامها، وكيف تحرك أو لا تحرك عضوا من جسدها في أثناء المشي،

وكيف تبرز وجهها وتستعمل بصرها في علاقتها بالآخرين²⁹. وهذا إنما هو دليل على ضبط حركة الفتاة من داخل المجال، مما ينعكس بالضرورة على مدة الامتثال لقيم المجتمع والحفاظ على الشرف، أو انتهاكها وضياعه أو فقدانه. وهو ما توصلت إليه الباحثة مها محمد حسين في دراستها للمجتمع المصري، "ويتبدى ذلك في بعض الحركات الجسدية، المرتبطة بطريقة جلوس الفتاة، أو أسلوب المشي، أو شكل وطريقة وقفها، أو في بعض الحركات الخاصة باستخدام الفتاة للأيدي في الحديث أو التواصل الجسدي عن طريق الأيدي، ففي شكل الأيدي وطريقة استخدامها في الحوار ودلالاتها الاجتماعية، ووظيفتها في الحوار، تكون تعبيراً عن شكل من أشكال التواصل الجسدي أثناء الحوار"³⁰.

ينبغي على الفتاة في الأسرة أن تعي أهمية قيمة الشرف العائلي والاجتماعي، فهي تمثل عنصراً لا يستهان بقيمتها في مخيلة المجتمع، وخاصة في العالم العربي الإسلامي، لأنه "يعتبر ملكية تعود إلى أفراد العائلة ويشارك الجميع في صناعتها، فإذا أقدم أحدهم بعمل مشين، لحق العار بالعائلة أجمعها، والحال هذا يشبه طوق نجاة تستقله العائلة وتبحر في خضم أمواج خطرة لبحر هائج هو المحيط الاجتماعي، فكلما التزم جميع أفراد العائلة بقوانين العرف، كلما كان هذا الطوف القلق أقدر على إيصالهم إلى بر النجاة"³¹.

يمكن القول إن الوسائل التي تتخذها الأسرة/الجماعة للحفاظ على أخلاق الأبناء من داخل القبيلة مثلاً، قد تختلف من مكان لآخر، ولذلك "فطبيعة الشرف تختلف من مجتمع إلى آخر، وبالتالي من ثقافة إلى أخرى، ترسم حدودها المعتقدات والأعراف والتقاليد الاجتماعية والامتداد التاريخي"³²، لأن الشرف كما هو محدد في الذات الإنسانية يقتزن بمجموعة من الرموز والصفات من قبيل العرض، الحياء، الحشمة، الفحولة، الرجولة وغيرها، والتي تختلف من مجتمع لآخر سواء من حيث المعنى، أو من حيث السلوك الذي يدل على هذه الصفات.

4. تحليلات العرض والشرف في وحدة القبيلة:

1.4. المجال وقيمة الشرف:

تناول الأنثروبولوجيين مفهوم "العرض" باعتباره نسقا من القيم الثقافية الذي يؤثر على سلوكيات المجموعات البشرية، ويمنح المرتبة الاجتماعية لكل من الرجل والمرأة، لكل مجموعة وزعامة معينة. وقبل الحديث عن إشكالية العرض والشرف داخل القبيلة، ينبغي الإشارة إليه هو أنه لن نتناول مفهوم القبيلة، ومختلف التفاصيل التي حددتها الدراسات التاريخية والسوسيولوجية والأنثروبولوجية حولها، بقدر ما سنتحدث عن ما يشغل موضوع هذا الجانب، وهو حضور قيم الشرف من داخل التركيبة القبلية، وكيف تشكل بدورها مجالا يدافع فيه الفرد عن شرفه.

إذا كانت القبيلة تمثل مكانا واسعا للدفاع عن شرفها الذي يحوي شرف الأسرة وشرف المرأة وشرف المجال برمته. فإن المكان والفضاء له قدسيته في المتخيل الاجتماعي لدى مكونات وأعضاء المجتمع التقليدي، فيصبح هاجس البدوي هو الاعتناء بهندسة محيطه الجغرافي، وإقامة سياج هندسي، يعكس التفكير المجتمعي في قضايا القيم والثقافة عامة، وقيم العرض والشرف خاصة.

إن للمكان حرمة الخاصة، كما للفرد الذي يتحرك فيه أيضا حرمة المقدسة، ولذلك كانت عناصر الأرض والتراب والدار والمرأة هي من بين أهم منطلقات الحفاظ على شرف الجماعة والأسرة والفرد من كل الأخطار الداخلية والخارجية، فأى حركة جسدية تعبر عن اشتغال قيمى وانعكاس يعبر عن دلالات اجتماعية متوقع مكانة الفرد والجماعة داخل النسق العام، وبالتالي مواجهة كل ما هو خارجي منذ الوهلة الأولى قبل حدوث الواقعة.

إن من بين ما ذكرته في هذا الجانب الباحثة ماري جيلارد لوس في دراستها بمرزوقة (تافيلالت)، أن الفضاء في علاقته بالشرف يشكل هاجسا مجتمعيًا للإنسان، بحيث أن المجتمع المحلي لا يسمح للسياح بالاتصال بالعائلات (عالم النساء)، بالرغم من الضيافة ودفعها التي تصفها الباحثة على أنها أسطورية وحقيقية، "وبالرغم من العلاقات الودية التي تنشأ بين الجماعة أحيانا وبين السياح"³³. كما أن العلاقات التفاعلية والخوف من التواصل بين عالم النساء والسياح جعل أفراد المجتمع المحلي خاصة الرجال يراقبون كل كبيرة وصغيرة بين العالم الداخلي (المنزل) والعالم الخارجي (السياح)، فالمنزل له حرمة ولا يمكن المساس وتدني المكان الذي يجسد عرض الرجل، ولهذا ترى دوجلاس "أن العرض في هذا الجانب يرتبط في المعنى العربي بالشرف الذي يمثل خصوصية الرجل، الذي لا يمكن للآخر المساس به. كما يدل كذلك هذا المفهوم على الهمة أو الهيبة، والجهد، والعظمة، ومن سمات شرف الرجل أيضا الحياء، والقوة، و(لَمْعُؤْلُ)، والأنفة، بحيث يظهر ذلك في حركاته وعلاقاته مع الناس، التي تعكس مكانته"³⁴.

وتحدث أيضا، رايون جاموس Raymond Jamous في دراسته ذات الطابع الإنقشامي حول منطقة الريف المغربي لدى "الإقليميين" عن وجود أربع مكونات أساسية تمثل شرف وعرض القبيلة، وهي التراب بالنسبة للمجموعات الانقشامية، والمرأة والمنزل والأرض بالنسبة للفرد، فوحدة القبيلة والجماعة والأسرة، وتبين له أن "التراب له مكانة اجتماعية تمثل قيمة عليا من قيم العرض والشرف على حساب علاقات القرابة، رغم تمسك هذه الأخيرة بشكل قوي في وحدة الجماعة أو القبيلة "نقيششت"، واعتبر القرابة في المجتمع الريفي على العموم معطى تابعا وخاضعا لروابط الدفاع عن المكان"³⁵، لكن بالرغم من هيمنة هذه الروابط الترابية، فإن النسق القبلي يبقى في معظم فترات الحياة القبلية نسقا على شكل أجزاء ووحدات تتخذ بدورها صورة منتظمة على شكل شجرة. تحافظ على قيمها الاجتماعية والثقافية عبر صيانة عرض المجال برمته.

2.4. العلاقات الاجتماعية وقيمة الشرف.

يحيل رايون جاموس على مفهومي العرض والبركة باعتبارهما مؤشرين للطرح الإنقشامي للمجتمع الريفي، ويصل لديه العرض لما سماه «بالعنف المؤسسي» الذي يتجلى في مواجهة الأخطار الداخلية والخارجية، أي الوقوف في وجه كل ما من شأنه أن يمس بالمجال المحرم لدى الإنسان الإقليمي وهو كما أشرنا سابقا التراب (Territoire)، المرأة (La femme)، الدار (La maison) والأرض (La terre). وذلك بموقف من التحدي والتحدي المضاد. وبذلك يرتقي الرجل في أحضان الجماعة.

في نفس السياق يشير الباحث الأنثروبولوجي ربال بوبريك على أن "قواعد العرض والشرف ما زالت تتحكم وتحدد العلاقات بين الجماعات حتى داخل المدن الصحراوية، وحتى وإن انتفى العنف الجسدي ممتلا في الثأر، فإن سبل وأسباب الصراع الصامت تظل جاثمة على الجسد الاجتماعي إن لم يتم تسويتها خارج قواعد ونظام قانون الدولة"³⁶. وهذا يؤكد ما أشرنا إليه سابقا كون الإنسان العربي بصفة عامة لازالت تحكمه رموز وقيم مجتمعية، تحدد العلاقة المفصلية بين العرف وقوانين الدولة تجاه قضية من القضايا الاجتماعية. ولذلك نجد ذات الباحث يرى بأن النظرية الانقشامية تقدم جوابا لمظاهر العنف التي تتولد عن حماية العرض، ويقول على أن هذا الأخير هو: "المتحكم في سلوك الأفراد ولا يستطيع كبح جماحه إلا مؤسسة خارجية عن النسق الانقشامي والتي تتميز بشرعية مغايرة مبنية على المقدس، هذه المؤسسة هي مؤسسة الصلحاء بما لها من دلالة دينية"³⁷.

إذا كانت كل مجموعة قبلية تدافع عن شرف قبيلتها ومجالها، فكل رجل بالضرورة ينبغي أن يحمي الثالوث المحضو مجتمعيًا وهي الزوجة والأرض والدار، وهو ما تجسده بعض الأمثال الشعبية المغربية:

"الراجل يموت على ولادو ولا على بلادو"

إن الرجل بمنطقة الريف الشرقي لا يمكن أن يكسب هويته إلا بحيازة الأرض والدفاع عنها، لأنها في المتخيل الشعبي تعد رمزا رئيسا يعكس مدى القوة المجتمعية في تشديدها على عدم مغادرة الأرض، وبدونها يفقد الفرد منزلته وانتمائه للجماعة، ولذلك يكون هذا التلاحم بين أفراد المجتمع أساسا هو الحفاظ على العرض بهدف الحفاظ على توازن وسلطة القبيلة.

يسهر الإنسان البدوي والقبلي على صيانة قيم وشرف القبيلة، لذلك نجد هذه الأخيرة هي صمام الأمان للفرد والجماعة في المجال الجغرافي، كما في المجال الاجتماعي، الثقافي والسياسي، بالرغم من التغيرات والتحولات التي عرفتها وتشهدها القبيلة في هذه الآونة، ولا يمكن أن ندرك أهمية القيم في طبيعة العلاقات الاجتماعية داخلها إلا بفهم النسق العام الذي يمنحنا صورة واضحة عن حرص كل فرد على أداء وظيفته تجاه هذه القيم، ولا غرابة أن نجد الأرض والزوجة والمنزل ضمن قيم العرض التي تحدث عنها رابعون جاموس وغيره داخل الوسط القبلي. فأى مساس بالشرف سواء كان الأمر يتعلق بالأرض، أو المنزل أو المرأة، يقابله الثأر من ذلك، "فإن السلوك المشرف هو الذي يساعد على تمتين ترابط الجماعة وبقائها، مما يؤدي إلى تقوية الجماعة وخدمة مصالحها، بينما يكون السلوك معيبا عندما يتجه إلى التشويش على الجماعة أو تعريضها للخطر أو عرقلتها أو إضعافها"³⁸. وهو ما يمكن أن يكون نتيجة الانحلال الاجتماعي والخلقي الذي يولد عنه اختلال قيمة من القيم التي تشكل جوهر الأفراد والجماعات، وخير دليل على ذلك هو قيمة الشرف.

من الدراسات ذات البعد التاريخي الأنثروبولوجي التي أشارت أيضا بتثبيت الإنسان القبلي بالأرض، باعتبارها رمزا من رموز الشرف والانتماء لدى قبائل أيت عطا بالجنوب الشرقي المغربي نجد دراسة عبد الله استيتيتو، الذي اعتبر أن جدلية الأرض والإنسان³⁹ عند العطاوي، "نتم عن حس عميق ورغبة أكيدة للعقلية العطاولية في ما يتعلق بالأرض، كموروث مقدس لا ينفصل عن الإنسان، فالأرض بالنسبة له تجسد تاريخه وتترجم تطوراتهِ وتحركاتهِ، لأن الحصول عليها، أو الاحتفاظ بها لم يكن بالشأن الهين، وإنما كان صعبا للغاية، مما يدل عن كون عنصر الأرض فجر الذات العطاولية، وجعل كل اهتماماتها تصب في إطار معالجة دقيقة وصارمة لكل المشاكل المرتبطة بهذا العنصر"⁴⁰، خاصة وأن القوانين العرفية وتصورات العقلية التشريعية لدى أيت عطا يعكسها بعدين اثنين هما: "الأرض والماء"⁴¹. وعلى ذات المنوال تسير بعض القبائل الصحراوية من أجل الحفاظ على "عرض الأراضي الجماعية والممتلكات، وكل ما من شأنه المس بكرامة الشخص داخل المجتمع"⁴². وهذا إنما يدل على قوة ووحدة الجماعة على قيم العرض، داخل الوسط القبلي على اختلاف أشكاله وألوانه.

في إطار آخر، يمكن القول إن القبيلة عبر التاريخ الاجتماعي تحقق نوعا من التوازنات الفردية والاجتماعية، فرغم العصبية والصراعات التي تنشأ من داخلها كما أوردتها مختلف الدراسات المهتمة بالشأن القبلي، فإن الشرف يصل إلى التنظيم السياسي للقبيلة، وإذا ما تحدثنا على هذا الجانب سنجد دور الذاكرة الشعبية في الحفاظ على شرف المجال، إذ تصف لنا الدراسات التاريخية والأنثروبولوجية الدور الذي تلعبه جل العناصر، التي تحوز كل ما له علاقة بالتنظيم القبلي السياسي المكانة والشرف الاجتماعيين، حيث يمثل كل من كبار السن والشيخ أو المقدم أو أمغار (بالمناطق الأمازيغية)، و"الجماعة"، والقائد، مكانة هامة في تحصين موقع القبيلة داخل التنظيم والنسق الاجتماعي، وموقعها خارج حيزها الجغرافي.

نستنتج مما سبق، أن القبيلة لها دور أساسي في تحصين الشرف العام، وحصين الشرف الفردي، فقد تبين أنها من خلال منظومة من القواعد والقيم التي يعكسها النظام الاجتماعي للمجتمع البدوي في مختلف المناطق المغربية، كون الشرف يبقى واسع النطاق داخل حيز مجالي محدد، كما يعبر عن ثقافة وتاريخ لا يمكن خرقهما بطريقة سهلة، إذ بفعل التماسك والتضامن والقوة بين الأفراد والجماعة، يتم الحفاظ على عرض وشرف المجال برمته.

وإجمالاً يتضح مما سبق، أنه لا يمكننا الحديث عن الشرف بعيداً عن الفضاء الاجتماعي، فقد تبين أن المكان هو شيء مقدس Sacré في المجتمع المغربي، وذلك في علاقته بالشرف والمنزلة، ومختلف القيم التي يشهدها المجتمع، فإذا كانت الوسائل والطرق تختلف من منطقة إلى أخرى سواء في العالم العربي أو في الجهات المغربية المختلفة، حول تحصين الفرد بغية الحفاظ على العرض والشرف الذي يجسد تماسك الجماعة، فإن النتيجة واحدة، وهي أنه في نهاية المطاف تنشأ التعبئة الكاملة حتى تنعم الأجساد بقيمة عليا داخل المجتمع، كما يعلى من شأن كل طرف على حدة، بدءاً بالشخص، مروراً بالأسرة والجماعة، وصولاً إلى المجتمع. وبالتالي فإن صيانة قيمة الشرف بما لها من هالة اجتماعية، فهي بدورها تعكس مدى قوة المكان الذي يسعى جاهداً لحفظها من جميع الجوانب بمختلف السبل الدينية، والسياسية، والسوسيوثقافية.

خلاصة:

يبقى إذن، جسد المرأة في الغالب لدى المجتمعات التي تنشأ الطابع المحافظ، في أحضان الأسرة والمجتمع ولا يخرج عن قيمه، كما يمثل شرف للرجال حينما يصير تحت مراقبتهم له، ومن هذا المنطلق سيعالج الأنثروبولوجيون قضايا تتعلق بقيم العرض، من موضع علاقة الرجل بالمرأة، وخروج هذه الأخيرة إلى المجال العام.

يتضح مما سبق كون العرض والشرف، يؤدي إلى مراقبة النساء في المجتمعات القبلية، التي تنتقل إلى عالم الأسرة، إذ تمثل مراقبتهم مراقبة لقيمتي العرض والشرف، وهي من أجل الحفاظ على المنزلة الاجتماعية للرجال في مثل هذه المجتمعات، فسمه الرجال ترتبط كثيراً بطبيعة العلاقة مع المرأة، أي يحتل الرجل منزلة معينة كلما كان في وضعية دفاع عنها، وحامياً لها ومراقباً لحركاتها بكل تفاصيلها الدقيقة اليومية.

هكذا، تظل هذه القيم المرتبطة بقضيي العرض والشرف بهذا الشكل من مسؤولية الأسرة في جل برامجها التربوية والتنشئية، فضلاً على تدخلات الجماعات التقليدية الضابطة، المتمثلة في الأقارب، والجيران والجماعة "القبيلة"، في تقنين الآليات والوسائل التي تنظم الإطار الأسري، والاجتماعي في كل مجال جغرافي، ووسط سوسيوثقافي، بغاية ضبط المعايير القيمية برومتها، وفق ما تقتضيه هذه المجالات.

المراجع والمصادر المعتمدة

¹ - لن نقف كثيراً عند المفاهيم، بقدر ما سنقدم بعض التعريفات المبسطة، لكي نوظفها في تحليل الموضوع الجوهرى للمقال، ويمكن العودة كتابات كثيرة في المفاهيم المدرجة فيه.

² - ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، النيل، القاهرة، ص 3781

³ - مجموعة من المؤلفين: المعجم الوسيط، ج 1-2، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، استانبول-تركيا، بدون تاريخ، ص 767-768.

⁴ - محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، مصر، 2005. ص 502.

⁵ - عبد الله محمد أحمد حريري: القيم في القصص القرآني الكريم، رسالة دكتوراه في فلسفة التربية، 1988 دراسة غير منشورة، ص 51.

⁶ - ابن منظور الإفريقي: لسان العرب، المجلد السابع، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، ص 170.

⁷ - Raymond Jamous : Honneur et Baraka, Les structures sociales traditionnelles dans le rif, publié avec le concours du centre national de la recherche scientifique, Cambridge University Press, Great Britain, first published, et Editions de la Maison des Sciences de l'Homme, paris, p 65.

⁸ - خلود السباعي: الجسد الأنثوي وهوية الجندر، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 2011، ص 208.

- ⁹ - ابن منظور الإفريقي: لسان العرب، المصدر السابق، ص 169.
- ¹⁰ - لويس معلوف، المنجد في اللغة، الطبعة الجديدة، ط19، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ص 383.
- ¹¹ - أندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الثاني H-Q، تعريب خليل أحمد خليل، إشراف أحمد عويدات، ط 2، منشورات أحمد عويدات بيروت، باريس، 2001، ص 565.
- ¹² - الجموعي مومن بكوش: القيم الاجتماعية، مقارنة نفسية-اجتماعية، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، العدد 8، بتصرف، جامعة الوادي، الجزائر، شتنبر 2014، ص 76.
- ¹³ - مجموعة من المؤلفين: المعجم الوسيط، ج1-2، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، استانبول-تركيا، بدون تاريخ. ص 17.
- ¹⁴ - مؤلف جماعي: دراسات في المجتمع العربي المعاصر، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع: ط1 دمشق 1999، ص 186.
- ¹⁵ - عبد اللطيف مصلح: مشاكل الوسط الأسري وعلاقتها بانحراف الأحداث في المجتمع المغربي، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، ط1 الرباط 2004، ص 38.
- ¹⁶ - عبد القادر القصير: الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية، دراسة ميدانية في علم الاجتماع الحضري والأسري، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، 1999 ص 34، أنظر كذلك:
- Émile Durkheim : La famille conjugale, Publication posthume d'un cours professé en 1892. Texte extrait de la Revue philosophique, 90, 1921, p 2 à 14.
- ¹⁷ - بوزيدي سولاف: إشكالية الشرف لدى المرأة، رؤية نقدية للطلبة الجامعية بوهرا، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 16، سبتمبر 2014، ص 118.
- ¹⁸ - صوفية السحيري بن حثيرة: الجسد والمجتمع، دراسة أنثروبولوجية لبعض الاعتقادات حول الجسد، الانتشار العربي، ط1، بيروت-لبنان، 2008، ص 118.
- ¹⁹ - نوال السعداوي: المرأة والجنس - مفهوم العذرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 3، بيروت 1974، ص 49.
- ²⁰ - رجال بوبريك: زمن القبيلة، السلطة وتدابير العنف في المجتمع الصحراوي، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، ط1، الرباط، 2012، ص 97-98.
- ²¹ - رجال بوبريك: زمن القبيلة...، المرجع السابق، ص 98.
- ²² - رجال بوبريك: المرجع نفسه، ص 98. ويضيف الباحث في الصفحات الموالية: 98-113، على أن دخول الفرد للخيمة ينتهك صاحبها بغض الطرف عن القيمة المادية لما يريد سرقته، فحين يدخل الخيمة فهو يلج عالم النساء، أي الحرم، وبالتالي يمس في العمق عرض صاحب الخيمة، وكيف ما كانت نوايا الداخل للخيمة، بغاية السرقة أو غيرها، وبمجرد دخوله لها جلسة، فإنه يصبح متهمًا بتهمة المس بالعرض، لاسيما أن الخيمة في المجتمع البدوي كانت فضاء مفتوحا، فليست كالمنازل بأبواب موصدة. ومن هنا كان التشديد والحرص على قدسية الخيمة ورمزيتها، كفضاء مفتوح على قراءات وتأويلات سيميائية وأنثروبولوجية. كما يوضح الباحث كذلك، عرض الأرض التي تشكل للإنسان البدوي الصحراوي إرثا تاريخيا، اجتماعيا وثقافيا يجب الدفاع عنه من أي مساس خارجي.
- ²³ - صوفية السحيري بن حثيرة: الجسد والمجتمع...، المرجع السابق، ص 113.
- ²⁴ - حمداوي، محمد: وضعية المرأة داخل الأسرة في المجتمع الجزائري التقليدي، ضمن إنسانيات، عدد 10، 2000، ص 24.
- ²⁵ - محمد فاروق النبهان: أثر القيم الدينية في استقرار الأسرة، ضمن مؤلف جماعي: أزمة القيم ودور الأسرة في تطوير المجتمع المعاصر، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 1422 - 2001، ص 207.

- ²⁶ - زينب معادي: الجسد الأنثوي وحلم التنمية، قراءة في التصورات عن الجسد الأنثوي في منطقة الشاوية، نشر الفنك، 2004، ص39.
- ²⁷ - تنسيق فوزية غساسبي: الخطاب حول المرأة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، 1997، ص 108.
- ²⁸ - صوفية السحيري بن حثيرة: الجسد والمجتمع...، المرجع السابق، ص 118.
- ²⁹ - خلود السباعي: الجسد الأنثوي وهوية الجندر، المرجع السابق، ص 182.
- ³⁰ - مها محمد حسين: العذرية والثقافة، دراسة في أنثروبولوجيا الجسد، دال للنشر والتوزيع، ط1، دمشق سورية، 2010، ص 257.
- ³¹ - رفائيل باتاي: العقل العربي، ترجمة علي الحارس، موقع شبكة عراق المستقبل <http://www.iraqfuture.net>، ص 14.
- ³² - بوزيدي سولاف: إشكالية الشرف لدى المرأة، رؤية نقدية للطالبة الجامعية بوهرا، المرجع السابق، ص 113.
- ³³ - Gelard Marie Luce : Le pilier de la tente, Rituels et représentations de l'honneur chez les Ait Khebbach (Tafilat) , Editions de la Maison des Sciences de l'Homme, paris, 2003, d'après mon extrait, p 32.
- ³⁴ - Gelard Marie Luce : Le pilier de la tente..., op cit, d'après mon extrait, p 45.
- ³⁵ - Raymond Jamous : Honneur et Baraka, Les structures sociales traditionnelles dans le rif, publié avec le concours du centre national de la recherche scientifique, Cambridge University Press, Great Britain, first published, et Editions de la Maison des Sciences de l'Homme, paris, 1981, p 29→33.
- ³⁶ - رحال بوبريك: زمن القبيلة...، المرجع السابق، ص 344.
- ³⁷ - رحال بوبريك: المرجع نفسه، ص 350.
- ³⁸ - رفائيل باتاي: العقل العربي، المرجع السابق، ص 8.
- ³⁹ - يشير الباحث عبد الله استيتيتو كون هذه الأراضي الجماعية "أكتا" احتلت مكانا مرموقا في الحياة الاقتصادية والسوسيوثقافية لدى الإنسان العطاوي. وخلقت انسجاما تاما لا يمكن التفريط فيها لأنها تمثل التاريخ والثقافة والاقتصاد. ينظر: عبد الله استيتيتو: التاريخ الاجتماعي والثقافي لقبائل أيت عطا الصحراء إلى نهاية القرن التاسع عشر، مقارنة أنثروبولوجية تاريخية لمسيرة كتلة قبلية أمازيغية، بتصرف، مركز الدراسات التاريخية والبيئية، سلسلة الندوات والمناظرات رقم 27، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف، الرباط، 2011.
- ⁴⁰ - عبد الله استيتيتو: المرجع نفسه، بتصرف، ص 57.
- ⁴¹ - عبد الله استيتيتو: المرجع نفسه، ص 57.
- ⁴² - يتجلى هذا في قوانين تعاقب الفرد قبل إقدامه على اعتداء جسدي، وقد ذكرها الباحث بتفصيل، ويمكن الرجوع إليها في محور العرض والعنف، ينظر: رحال بوبريك: زمن القبيلة...، المرجع السابق، 99-100.